تجـــارة فى مجاهـــــل إيران

أول مغـامرة فى حيـــاتى

. . . فـكرة جريئة تلك التى خطرت لصاحبى فجاءنى ذات يوم يفضى إلىّ بما سمعه من أن « صناديق الشاى » فى إيران وفى الجنوب الشرقى منها يسوى ضعفه هنا ، فى بلدنا فهيا إذن ولنستغل الفرصة ، فهى مواتية ، إذ الشاى فى « الـكويت » متوفر ، ولا عليك إلا أن تناصفنى رأس المال لنشترى به الصناديق ، ولنستعد نحن كذلك للسفر . وهنا وجه الخطورة ، إذ الحرب على أشدها وعلى التحديد نحن فى السنة الثالثة من نشوبها ، والناس فى حيرة من أمرهم ، لا يعرفون الخلاص ثما هم فيه . وأخبار القتال — إلى جانب ذلك كله — تترى مؤكدة بأن الليالى من الزمان حبالى ، فالحرب بين المتحاربين فى تفاقم واشتعال ؛ والأزمة لم تستكمل حلقاتها بعد . ولا يدرى أحد مدى ما يصيب هـذه الحياة من فناء وهلاك .

— لا ياصديق إننا — ولا شك — مجانين إن أقدمنا على السفر ، فالأحوال غير ميسرة ولنلزم أرضنا .

لـكن ياصديق ليس ممن ينكصون على أعقابهم بهـذه السهولة ، وله من الثبات ما تنوء به الجبال ، ثم أنه أعرف الناس بتهوين أمرى ودحض حججى . وهكذا راح يحاورنى ويداورنى ، ويظهر لى الجانب الحسن من الأسفار ، ويزوّق لى أحاديثه وأعاجيبه . . حتى أسلمتُ له القياد وبدوتُ أكثر حماساً منه للسفر .

وفى اليوم التالى اشترينا البضاعة المذكورة وأكرينا سفينة تقلنا إلى ذلك المحل ، وتشاورنا مع الربان إلى أى قرية نقصد لنبيع البضاعة بسعر مرتفع . فأسمى لنا قرية تدعى « الهشوش » .

***

وها نحن على ظهر السفينة تنساب بنا ، والسماء صحو ، والهواء ناعم رقيق ؛ فقال صاحبى : سفر ميمون الطالع إن شاء الله ، فقلت له : نحن فى أول الطريق ياصاح ! !

فأجابنى على الفور : نحن أبناء البحر على كل حال ، ومتهيئون لـكل طارىء بطبيعتنا .

فلمست قوة الشكيمة والثبات فى قوله وسكت . ثم جلسنا نتجاذب أطراف الحديث ، وطال جلوسنا فوقفنا نروِّح عن النفس سأمها ، ثم نزلنا داخل السفينة نقلب بعض صناديق البضاعة خوفا عليها من التلف ، وزيادة فى المحافظة عليها كى تصل سالمة . وفيما نحن كذلك وإذا بالربان يصيح بنا : أخرجا لقد وصلنا ، فقفزت إلى ظهر السفينة جائلا ببصرى نحو المـكان المقصود . لم أر شيئاً سوى الساحل الممتد على بعد النظر : لا قرية ولا مدينة ، بل ولا بيت فقلت فى نفسى لعل دوار البحر أدار رأسه وتقدمت نحوه وهززت رأسه بيدى قائلا : أين القرية المقصودة ؟ فأجابنى : « أرباب » انظر هذا هو الساحل .

نعم إنى أرى الساحل ، ولـكن أين القرية ؟ ! فقال : « أرباب » القرية تبتعد عن الساحل بما يقارب مائة وخمسين كيلو متراً ، فقلت فى نفسى : هذه أول عقبة فى الطريق . ثم استفسرت منه عما إذا كانت هناك طرق للمواصلات ، فأجابنى بالنفى ، وهنا بهت من هذا الجواب ، وارتعش جسمى منه خوفاً من الفتك بى وبصديقى ، وحين رأى علائم الخوف والحيرة على وجهى واصل حديثه قائلا : عند ما نصل إلى الساحل ستجدون حميراً وبغالا تنقلكم وبضاعتكم إلى القرية . فصبراً « أرباب » .

وبعد نصف ساعة وصلنا الساحل ، وإذا بنا فى صحراء قاحلة لا نبات ولا ماء ، غير ماء البحر ، وأمواجه المتلاعبة تحت أقدامنا ، ولا حمير ولا بغال ، وإلا سكون الأصيل المخيم على تلك الواحة القفراء . فالتفت إلى الربان أسأله عما قال ، فأجابنى : إنهم ربما لم يأتوا اليوم ، وتصديقاً لقولى : انظر الحوافر فى هـذه الرمال ، وانظر إلى هـذا الرماد ، إنه بقايا نارهم . قلت : وما العمل ؟ ! قال :

سأكلف اثنين من بحارتى يعرفان الطريق ، ليذهبا مع أحدكما إلى القرية ، فيخبروهم بوصولنا ، فقلت له — وأنا أردد بينى وبين نفسى : هـذه ثانى عقبة — بكم من الوقت ياحضرة الربان نقطع الطريق ؟ قال لى : الأمر بسيط جداً . تمشون باقى هذا العصر وليلتكم ، والصبح تصلون القرية إن همتم فى المشى . فقلت فى نفسى : كل هذا والأمر بسيط عنده . أحسست — والله — أن الربان الفاضل قد قصم الحلقة السفلى من سلسلة ظهرى بهـذا الجواب الهادىء . لـكننى لم أر بداً من أن أقول له : حقاً إنها مسافة قصيرة ؛ وأنا أشير إلى صديقى بطرف عينى ؛ إنها لا تتجاوز كما قال الأعرابى : « حذفة عصا » ولـكن هيا أعطنا ماءً للطريق ، لأن الموسم صيف ، والجو فى هـذا المـكان أحر ما يكون عليه فى النهار . فذهبنا إلى خزينة الماء الموجودة فى السفينة ، وإذا فيها ما يقارب نصف تنكه فقط ، إنه والله لموقف تعس وبدأت أشعر باختلال توازنى ، وكدت أفقد اتزانى وأعصابى لولا أن تقدم صاحبى منى وقال لى : الأحسن أن تأخذوا النصف وتتركوا لنا النصف والأمر لله ، وكذلك اتفقنا على الطعام .

مشينا نحن الثلاثة متوكلين على الله ، واحد يحمل الماء ، والآخر يحمـل الطعام ، وكاتب هـذه السطور يحمل « البندقية » خوفاً من الوحوش . لـكننى للأسف الشديد لا أصيب الهـدف ولو كان كالجبل ، وعبء هذا يلقى على عاتق مدرس الـكشافة ! ولا شك ؛ لأنه علمنى بالرمح فقط كيفية حمل السلاح . والرمح — كما لابد أن تعرف — لا يطلق منه الرصاص ، فهو للتدريب على حمل السلاح ليس إلا . وأنا فى هذا الموقف حملته كما علمنى « الأفندى » .

مشينا فى الطريق مرددين بعض النكت والقصص الطويلة لضياع الوقت ، وخوفاً من سواد الليل الحالك فى تلك الصحراء الموحشة التى لا نسمع فيها غير عواء الثعالب ، وعبث تلك الحيوانات الصـغيرة فى بعض الأعشاب ، وكادت تخور قوانا من شدة التعب لولا أن كل واحد منا ظل يشجع الآخر بأنه لم يتعب أبداً .

وصممنا على الوصول قبل طلوع الشمس مواصلين السير خوفا من العطش ، وقد رزقنا البارى أرجلا من حديد . وما كاد قرص الشمس يخرج الربع الأول منه حتى شارفنا على القرية ، وبدت لنواظرنا واضحة على مسافة قصيرة . وما إن غمرتنا الشمس بأشعتها الفضية حتى كنا عند أول بيت من بيوت القرية . وهذا هو آخر عهدنا بأنفسنا ، فقد كنا فى شبه غيبوبة . وقد خرج إلينا أهل القرية ، وصاروا يسألوننا فلا نجيب من شدة العطش والتعب ، فالماء قد فرغ منا الثلث الأول من الليل ، والكل منا يشير إلى إناء الماء ثم إلى فمه . ويالهم من حكماء فى هـذه القرية النائية عن المدن وسكانها : إنهم أخذوا يكيلون لنا الماء كيلا ، وكل ربع ساعة يسقون واحداً منا فنجان ماء فقط . إلى أن أخذت الحياة تعود إلينا تدريجاً . وعند ما استرحنا قلت لهم : لم لا تزودونى من الماء لأنى كنت على شفا جرف من الموت . قالوا لو سقيناك دفعة واحـدة لانفجرت كبدك ، ومت من حينك ، فشكرتهم على ذلك لأنى لم أدرك الخطر عند اشتداد العطش . ثم أخبرتهم بالسفينة وأصحابها ، فشـدوا الركاب نحوها ، وتوجهوا إلى الساحل طالبين الرجال والبضاعة . ولما أن قارب اليوم الثانى على الانتهاء إذا بالحملة عندنا ، وعلى رأسها صديقى ومعه ربان السفينة وبحارتها المشئومون .

« الـكويت » فهد الفهارس

(يتبع)

اعتذار :

نعتـذر لبعض الـكتاب الـكرام عن عـدم استطاعتنا نشر بعض الرسائل والمقالات التى ترد إلينا بدون أسماء صريحة . و « البعثة » مستعدة أن تنشر أى رسـالة أو مقال بالإمضاء المستعار على أن يكون لها الحق بمعرفة الـكاتب .

رجاء :

ترجو « البعثة » من الـكتاب الـكرام أن تكون كتاباتهم واضحة ، وعلى وجه واحد من الورقة لـكى يسهل لعمال المطبعة صف الحروف بيسر ، ولتحاشى كثرة الأخطاء .